NYROUF

التراث الإنسانية

نهاية الأرب فى فنون الأدب

للنويرى أحمد بن عبد الوهاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

إبراهيم الابيارى

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

الانجاز الطباعى والفنى	وزارة الإعلام
محمود الهندى	وزارة التعليم
مراد نسيم	وزارة الحكم المحلى
أحمد صليحة	المجلس الأعلى للشباب والرياضة

المشرف العام

د . سمير سرحان

نهاية الأرب فى فنون الأدب
للنويرى أحمد بن عبدالوهاب
إبراهيم الابيارى

تمهيد

خلال ما يقرب من قرون ثلاثة ـ أى منذ سنة ٦٥٦ هـ ، وهى السنة التى وقعت فيها بغداد نهبا للمغول على يد زعيمهم هولاكو ، الى سنة ٩٢٣ هـ ، وهى السنة التى دخل فيها العثمانيون مصر أيام سليم الفاتح ـ شهدت البلاد العربية محنا سياسية ذاقت ويلاتها فى ظل الغزو المغولى والغزو التركى اللذين ذهبا بسيادة كثير من تلك البلاد ، وكادت الأمة العربية خلال هذه القرون الثلاثة تشيع حضارتها ولغتها ، لولا أن مصر والشام بقيتا بمنجى من هذا الغزو وذاك ، ففزع اليهما العلماء من الأقطار العربية المغلوبة على أمرها يجدون فى حكومتها الموحدة أيام المماليك ملاذا ، ويجدون فى القاهرة عاصمة القطرين مكانا آمنا . وهكذا ضمنت القاهرة للغة وآدابها وتاريخها وعلومها فى هذه المحنة القاسية أن تبقى . كما ضمنت للمؤلفين فى شتى هذه النواحى أن يؤلفوا . وهذه

المحنة التى جمعت ما بين العلماء من مختلف البقاع العربية على أرض القاهرة ، هى التى جمعت هؤلاء العلماء على التأليف الموسوعى يستوعبون منه أشتاتا من العلوم والفنون بعد أن امتحنوا مع الغزوين بذهاب جملة من كتبها المفردة .

وكان من أوائل من طالعونا فى هذا العصر بالتأليف الموسوعى الوطواط جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن على الأنصارى (٧١٨ هـ) ، فألف كتابه « مباهج الفكر ومناهج العبر » وهو موسوعة فى أربعة أجزاء ، الأول فى السماء والفلك ، والثانى فى الأرض وما عليها وجغرافيتها ، والثالث فى الحيوان ، والرابع فى النبات .. ثم النويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٢ هـ) صاحب هذه الموسوعة التى سنحدثك عنها ... ثم العمرى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٨ هـ) صاحب الموسوعة المشهورة « مسالك الأبصار فى مسالك الأمصار » وهى تقع فى بضعة وعشرين مجلدا تجمع بين الأدب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعى وغيرها .. ثم القلقشندى شهاب الدين أحمد بن على (٨٢١ هـ) وله موسوعته المدونة باسم « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » . وما نحب أن نستقصى فى ذكر موسوعات هذا العصر كلها ، بل نجتزىء بما قدمنا لنأخذ فى ترجمة النويرى ثم التعريف بموسوعته « نهاية الأرب » .

النويرى

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب ابن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى ٠

على هـذا الكثرة ممن أرخـوا له مثل المقريزى (١) وابن تغرى بردى (٢) وابن حبيب (٣) والسيوطى (٤) ٠

وذهب ابن حجر (٥) الى أنه : شـهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويرى ٠ وهذه الرواية توافق ما أورده على مبارك (٦) ٠

وذهب الأدفوى (٧) الى أنه : أحمد بن عبد الوهـاب ابن عبد الكريم البـكرى ، ثم قال : ينعت بالشـهاب النويرى ٠

واجتزأ ابن كثير (٨) بذكر اسمه واسم أبيه فقال : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٠

---

(١) السلوك (ج : ٢ ، ق : ٢) ص : ٣٦٣ ٠
(٢) النجوم الزاهرة (٩ : ٢٩٩) والمنهل الصافى (١ : ٣٦١)٠
(٣) درة الاسلاك (سنة ٧٢٣) ٠
(٤) حسن المحاضرة (١ : ٢٦٦) ٠
(٥) الدرر الكامنة (١ : ١٩٧) ٠
(٦) الخطط التوفيقية (١١ : ١٥) ٠
(٧) الطالع السعيد (٤٦) ٠
(٨) البداية والنهاية (١٤ : ١٦٤) ٠

وثمة رواية جاءت بخط النويرى نفسه آخر السفر الأول من كتابه « نهاية الأرب » تؤيد ما أورده ابن حجر وما شاركه فيه على مبارك تقول : نجز السفر الأول من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » على يد مؤلفه فقير رحمة ربه : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التميمى القرشى ، عرف بالنويرى ، عفى الله عنه .

وقد تكررت هذه العبارة فى نهاية السفر الخامس أيضا ، وجاءت فى آخر الجزء التاسع بخط ناسخ له يدعى نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملى ، وذلك فى سنة ٧٦٦ هـ . أى بعد وفاة المؤلف بنحو ثلاث وثلاثين سنة .

ولم يعرض من بين هؤلاء المؤرخين جميعا لنسبته الى بكر الا اثنان ، هما : ابن كثير ، وعلى مبارك .

أما ابن كثير فقال : نسبته الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه (٨) .

وقال على مبارك : ينسب الى قبيلة بكر : وهى بطن من طيىء .

غير أنه يقول بعد ذلك : وقد ذكر النويرى فى بعض كتبه ترجمة والده فقال : هو تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن عبد الدائم ابن منجى البكرى ، تيمى قرشى ، يلقب بالنويرى .

أما عن النويرة التى نسب اليها أحمد فهى قرية بالصعيد الأدنى من مصر . كانت قديما من اقليم « بهنسا » وهى الآن من محافظة بنى سويف شرقى أهناس بنحو ثلاثة كيلو مترات ونصف .

ولم تكن النويرة القرية التى ولد فيها أحمد ونشأ ، وانما كانت منشأ آبائه ، فلقد مر بك فيما ساقه على مبارك عن والد أحمد أنه كان يلقب بالنويرى . ويضيف الأدفوى وهو يترجم لأحمد : النويرى المحتد القوصى المولد والمنشأ . وهو يعنى أن النويرة كانت موطن آبائه وعنها نزحوا الى قوص حيث كان مولده ومرباه . ويظهر أن النويرة لم تكن كذلك القرية التى ولد فيها الأب ، ففى ترجمة أحمد لأبيه ما يشير الى أنه ولد فى الفسطاط ، فهو يقول : « وولادته بالفسطاط سنة ٦١٨ هـ) . فهذه النسبة ـ التى علقت باسم الأب كما علقت باسم الابن ـ تدلنا ـ كما قلت ـ على أن الأسرة كانت لها صلة قديمة بالنويرة لم تستطع أن تمحوها صلات أخرى ببلدان أخرى .

وكان والده من علماء المالكية ، يشير الى ذلك ما كتبه هو عنه ، ونقله على مبارك حيث يقول : « ومات رحمه الله

قبل صلاة المغرب يوم الخميس اثنين وعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٦٩٩ هـ فى المدرسة الصالحية النجمية فى قاعة تدريس المالكية » .

ثم قوله : وقد دفن فى تربة قاضى القضاة زين الدين المالكى . فهاتان الاثنتان ترجمان ما ذهبنا اليه من أنه كان مالكى المذهب ، ولم نكن لنلتفت الى هذه لولا ذلك التنصيص على شافعية الابن التى ذكرها غير واحد ممن أرخوا له ، فلقد ذكرها المقريزى فى كتابه « السلوك » وذكرها ابن تغرى بردى فى كتابيه « النجوم الزاهرة » و « المنهل الصافى » .

وكما كان الأب شيخا فى مذهبه المالكى ، كان الابن كذلك شيخا فى مذهبه الشافعى ، والعهد بالأسرة قديما وحديثا الوحدة المذهبية ، ولا يتأتى خروج على هذه الوحدة بين أسرة تملى عن رأى مثل أسرة النويرى الا اذا كان ثمة خلاف فى رأى أو خلاف فى الاتجاه تتطلبه الرغبات العلمية المحيطة حينذاك : ولعل اتخاذ الدولة حينذاك « لمذهب الشافعى » المذهب الرسمى لها كان له أثره فى أخذ أحمد به .

ويذكر الأدفوى من شيوخ أحمد ـ ويكاد يكون هو المرجع الوحيد الذى استوعب فى ذلك ـ الشريف موسى بن على . ويعقوب بن أحمد بن الصابونى ، وأحمد الحجار ،

وزينب بنت منجى ، وقاضى القضاة أبا عبد الله محمد بن ابراهيم جماعة ، ولا يذكر أباه ، ولقد كان فقيها وشيخا . ونكاد نعزو هذا الى أن الابن نشأ بعيدا عن الأب ويكاد يكون اختلاف البلاد ، بين النويرى والقسطاط وقوص ، ويؤكد ما ذهبنا اليه . واذا صح هذا كان غير بعيد ألا نجد الأب فى شيوخ الابن ، وكان غير بعيد أن نجد الابن شافعيا والأب مالكيا .

والمؤرخون يجمعون على نعت أحمد بحميد الصفات ، يقول الأدفوى وقد صحبه : كان ذكى الفطرة ، حسن الشكل ، وفيه مكرمة وأريحية وود لأصحابه ، وله نظم يسير ، ونثر لا بأس به .

ويقول ابن حجر : وكان حسن الشكل ، ظريفا متوددا .

ويقول ابن كثير : كان لطيف المعانى ناسخا مطبقا ، وبالجملة كان نادرا فى وقته .

ويقول ابن تغرى بردى : كان فقيها فاضلا ، وله مشاركة جيدة فى علوم كثيرة وكتب الخط المنسوب .

ويقول ابن حبيب وقد جود فى صفته : أديب تضاعف أدبه ، وظهر سعيه ودأبه ، وارتفعت منازله ورتبه ، واشتهرت مؤلفاته وكتبه ، كان لطيف الذات ، حسن الصفاء والصفات ، جميل الحاضرة ، بديع المذاكرة ، حصل وجمع ، وأفاد ونفع .

وهذا الرجل الذى انتهى اليه هذا كله ، انتهى الى أن يتصل بالسلطان الناصر ، وصله به رافع بن عبادة ، وما ان اتصل بالناصر حتى وكل اليه الناصر بعض أموره ، وما زال يرقى عنده حتى ولاه نظر الجيش بطرابلس . ثم ولاه نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .. وهنا تحركت نفس ابن عبادة وأخذ يحقد عليه ، فوشى به الى السلطان وشاية ، حسبنا عن عنفها ما كان من عنف السلطان بأحمد اذ أمر بضربه بالمقارع .

وأظن أن هذه التى حدثت بينه وبين الناصر كانت القاطعة لصلته بالديوان السلطانى ، وأظن أن الرجل عاش بعدها على النسخ ، وقد مر بك قول ابن كثير فيه « كان ناسخا مطبقا » . وأزيدك عليه تتمة قوله فيه : « كان يكتب فى اليوم ثلاث كراريس ، وكتب البخارى ثمانى مرات ، ويقابله ويجلده ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه » .

ومثل هـــذا قاله ابن تغرى بردى عنـه فى المنهل الصافى : « كتب صحيح البخارى ثمانى مرات . وكان يبيع كل نسخة من البخارى بخطه بألف درهم » .

وهذا الذى سقناه عن ابن كثير وابن تغرى بردى . يؤكد أن الرجل عاش على النسخ لا يجد له منفسا غيره ، ونكاد نظن الى هذا أن غضبة السلطان عليه امتدت الى منعه

من أن يحاضر أو يدرس ، اذ لا نجد له فى ثنايا تراجمه المختلفة اشارة الى حضوره حلقة من حلقات التدريس كما رأينا لأبيه .

وكما فرغ أحمد الى عمله نهاره ، فرغ الى ربه مساءه . فكان اذا ما صلى العصر أخذ فى قراءة القرآن الى قريب من المغرب ، واذا أمسى أخذ فى القراءة والجمع يعد لتاريخه الكبير الذى سنحدثك عنه . وقد قسمت الحياة على الرجل حين ضيقت عليه بعد ما أفسحت له ، وحين آذته بأصدقائه بعد ما آنسته بهم ، وحين أرهقت أصابع يمينه فاذا هو بهذا الارهاق يشكو وجعا بها يمهد الى غيره مما كان سبب موته . يقول الأدفوى ثم حصل له وجع فى أطراف أصابع يده وكان ذلك سبب وفاته .

هذه الحياة بقسوتها تلك أخرجته منها مبكرا ، وهو من أبناء الخمسين . فمات فى الحادى والعشرين من شهر رمضان من سنة سبعمائة واثنتين وثلاثين ، وقيل : ثلاث وثلاثين ، لم يذكر الأولى من المؤرخين غير حاجى خليفة فى « كشف الظنون » وعلى مبارك فى « خططه » وابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » وقد عاد ابن تغرى بردى فاتفق مع جميع من قدمت لك من المؤرخين فى الثانية ، فى كتابه « النجوم الزاهرة » . وهؤلاء المؤرخون جميعا لم يذكروا شيئا عن مولده كما لم يذكروا عمره ، وأنه كان

من أبنـاء الخمسين حين مات ، غير ابن تغرى بردى فى كتابه ، وابن حبيب فى « درة الأسلاك » .

نهاية الأرب فى فنون الأدب

وبين حياة الكسب وحياة التحصيل اجتمعت للرجل مادة علمية كثيرة هيأته لهذا التأليف الكبير .

وما نشك فى أن حياته الأولى مع اقبال الدنيا عليه حين تقلب فى الدواوين ، وحين كان اليه نظر الجيش بطرابلس ، وحين كان اليه نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية ، مهدت له ، وكانت لها أثر قوى فى هذا العمل الديوانى الضخم ، ثم ما نشك فى أن اقبال الرجل على النسخ مكنه من تقليب كتب وصفحات زودته بالكثير مما يحب ، وما نشك فى أن خلوته الى نفسه بعد ما خلت الحياة به ، أفسحت له أن يفرغ الى هذا التأليف الكبير .

ونعنى أن الرجل أخذ فى تأليف كتابه هذا بعد ما خرج من حياة السلطان ودخل حياته هو ، من أجل هذا لم نره يرفع كتابه الى الناصر ولا يهديه اليه ، غير أنه اذ كان فى الباب الثانى عشر من القسم الخامس من الفن الخامس من الكتاب مؤرخا لملوك الديار المصرية فى أيامه ، لم يستطع أن يغفل الحديث عن الناصر ، فاذا هو يقول : الى حين وضعنا لهذا التأليف سنة ٧٠٠ وسبعمائة فى أيام مولانا السلطان السيد الأجل المالك الملك الناصر ،

ناصر الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين أبى الفتح محمد ، ابن السلطان الشهير ، الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبى المظفر قلاوون الصالحى ، خلد الله ملكه على مر الزمان ، وسقى عهد والده صوب الرحمة والرضوان ببركة سيد ولد عدنان ٠

ولم يجىء بعد هذا ما يشير الى اهدائه الى الناصر ٠ وهذا الكتاب الذى لم يتركه صاحبه دون أن يشير الى عنوانه ، حيث قال فى مقدمته : ولما انتهت أبوابه وفصوله وانحصرت جملته وتفصيله ترجمته « نهاية الأرب فى الفنون والأدب » ، لم يتركه المؤرخون دون أن يختلفوا فى اسمه ، فيقول ابن تغرى بردى فى كتابيه وابن كثير وابن حبيب ٠ وله كتاب سماه « منتهى الأرب فى علم الأدب » ويسكت المقريزى وابن حجر والأدفوى ثم السيوطى عن ذكر اسم الكتاب ويقولون : « وجمع تاريخا كبيرا » ، ولكنهم كلهم بعد ذلك متفقون على أن الكتاب فى ثلاثين جزءا أو مجلدا ٠

وهذا التقسيم الذى اتفقوا عليه لم يشر اليه النويرى من قرب أو بعد ، وكل ما قاله أنه قسم الكتاب الى فنون ، وجعل كل فن سفرا ، والفنون الى أقسام والأقسام الى أبواب ٠

ويعنينى هنا أن أسوقها كما أوردها النويرى ، فهى خير ما يترجم لك عن محتويات تلك الموسوعة وها هى ذى :

الفن الأول

في السماء والآثار العلوية ، والأرض والمعالم السفلية ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول : في السماء وما فيها .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : في مبدأ خلق السماء .

الباب الثاني : في هيئتها .

الباب الثالث : في الملائكة .

الباب الرابع : في الكواكب السبعة .

الباب الخامس : في الكواكب الثابتة .

القسم الثاني : في الآثار العلوية .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول : في السحاب ، وسبب حدوثه ، وفي الثلج ، والبرد .

الباب الثاني : في الصواعق ، والنيازك ، والرعد ، والبرد .

الباب الثالث : في أسطقس الهواء .

الباب الرابع : فى أسطقس النار ، وأسمائها .

القسم الثالث : فى الليالى ، والأيام ، والشهور ، والأعوام ، والفصول والمواسم ، والأعياد .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول : فى الليالى ، والأيام .

الباب الثانى : فى الشهور ، والأعوام .

الباب الثالث : فى الفصول .

الباب الرابع : فى المواسم ، والأعياد .

القسم الرابع : فى الأرض ، والجبال ، والبحار ، والجزائر ، والأنهار ، والعيون .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول : فى مبدأ خلق الأرض .

الباب الثانى : فى تفصيل أسماء الأرض .

الباب الثالث : فى طول الأرض ، ومساحتها .

الباب الرابع : فى الأقاليم السبعة .

الباب الخامس : فى الجبال .

الباب السادس : فى البحار والجزائر .

الباب السابع : فى الأنهار والغدران ، والعيون ·

القسم الخامس : فى طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها ، وخصائصها ، والمبانى القديمة ، والمعاقل ، والقصور ، والمنازل ·

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : فى طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها ·

الباب الثانى : فى خصائص البلاد ·

الباب الثالث : فى المبانى القديمة ·

الباب الرابع : فيما وصفت به المعاقل ·

الباب الخامس : فيما وصفت به القصور ، والمنازل ·

الفن الثانى

فى الانسان وما يتعلق به

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول : فى اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه ، ووصف أعضائه وتشبيهها ، والغزل ، والنسيب ، والمحبة ، والعشق ، والهوى ، والأنساب ·

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول : فى اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته وطبائعه .

الباب الثانى : فى وصف أعضائه ، وتشبيهها . **وما وصف به طيب الريق ، والنكهة ، وحسن الحديث ، والنغمة ، اعتدال القدود ، ووصف** مشى النساء .

الباب الثالث : فى الغزل ، والنسيب ، والهوى ، والمحبة ، والعشق .

الباب الرابع : فى الأنساب .

القسم الثانى : فى الأمثال ، المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ، والزجر ، والفال ، والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ، والكنايات ، والتعريض ، والأحاجى ، والألغاز .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : فى الأمثال .

الباب الثانى : فى أوابد العرب .

الباب الثالث : فى أخبار الكهنة ، والزجر ، والفال ، والطيرة ، والفراسة ، والذكاء .

الباب الرابع : فى الكنايات والتعريض .

الباب الخامس : فى الأحاجى ، والألغاز .

القسم الثالث : فى المدح ، والهجو ، والمجون ، والفكاهات ، والملح ، والخمر ، والمعاقرة ، والندماء ، والقيان ، ووصف آلات الطرب .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول : فى المدح .

وفيه ثلاثة عشر فصلا . وهى :

حقيقة المدح ، وما قيل فيه . ما قيل فى الجود ، والكرم ، وأخبار الكرام ، ما قيل فى الاعطاء قبل السؤال . ما قيل فى الشجاعة ، والصبر ، والاقدام . ما قيل فى وفور العقل . ما قيل فى الصدق . ما قيل فى الوفاء ، والمحافظة . ما قيل فى التواضع . ما قيل فى القناعة ، والنزاهة . ما قيل فى الشكر ، والثناء ، ما قيل فى الوعد ، والانجاز . ما قيل فى الشفاعة . ما قيل فى الاعتذار ، والاستعطاف .

الباب الثانى : فى الهجاء .

وفيه أربعة عشر فصلا :

ما قيل فى الهجاء ، ومن يستحقه . ما قيل فى

الحسد · ما قيل فى السعاية ، والبغى · ما قيل فى الغيبة ، والنميمة · ما قيل فى البخل واللؤم ، وأخبار البخلاء ، واحتجاجهم · ما قيل فى التطفل · وتتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة · ما قيل فى الجبن ، والفرار · ما قيل فى الحمق ، والجهل · ما قيل فى الكذب · ما قيل فى الغدر والخيانة · ما قيل فى الكبر ، والعجب · ما قيل فى الحرص ، والطمع · ما قيل فى الوعد ، والمطل · ما قيل فى العى ، والحصر ·

الباب الثالث : فى المجون ، والنوادر ، والفكاهات ، والملح ·

الباب الرابع : فى الخمر ، وتحريمها ، وآفاتها ، وجناياتها ، وأسمائها ، وأخبار من تنزه عنها فى الجاهلية ومن حد فيها من الأشراف ، ومن اشتهر بهـا ، ولبس ثوب الخلاعة بسببها ، وما قيل فيها من جيد الشـعر ، وما قيل فى وصف آلاتها ، وآنيتها ، وما قيل فى مبادرة اللذات ، وما وصفت به المجالس ، وما يجرى هذا المجرى ·

الباب الخامس : فى الندماء ، والسقاة ·

الباب السادس : فى الغناء ، والسماع ، وما ورد فى ذلك من الحظر والاباحة ، ومن سمع الغناء من

الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ، والأئمة ، والعباد ، والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء ، وأبنائهم ، والأشراف ، والقواد ، والأكابر ، وأخبار المغنين ممن نقل الغناء من الفارسية الى العربية .

الباب السابع : فيما يحتاج اليه المغنى ، ويضطر الى معرفته ، وما قيل فى الغناء ، وما وصفت به القيان ، وما وصفت به آلات الطرب .

القسم الخامس : فى الملك ، وما يشترط فيه ، وما يحتاج اليه ، وما يجب له على الرعية ، وما يجب للرعية عليه . ويتصل به ذكر الوزراء ، وقادة الجيوش وأوصاف السلاح ، وولاة المناصب الدينية ، والكتاب ، والبلغاء .

وفيه أربعة عشر بابا :

الباب الأول : فى شروط الامامة ، الشرعية ، والعرفية .

الباب الثانى : فى صفات الملك وأخلاقه ، وما يفضل به على غيره ، وذكر ما نقل من أقوال الخلفاء والملوك الدالة على علو همتهم ، وكرم شيمتهم .

الباب الثالث : فيمـــا يجب للملك على الرعايا من الطاعة ، والنصيحة ، والتعظيم ، والتوقير .

الباب الرابع : فى وصايا الملوك .

الباب الخامس : فيما يجب على الملك للرعايا .

الباب السادس : فى حسن السياسة ، واقامة المملكة ويتصل به الحزم ، والعزم ، وانتهاز الفرصة ، والحلم ، والعفو ، والعقوبة ، والانتقام .

الباب السابع : فى المشـــورة ، واعمـال الرأى ، والاستبداد ، ومن يعتمد على رأيه ، ومن كره أن يستشير .

الباب الثامن : فى حفظ الأسرار ، والاذن ، والحجاب .

الباب التاسع : فى الوزراء ، وأصحاب الملك .

الباب العاشر : فى قادة الجيوش ، والجهاد ومكايد الحروب ، ووصف الوقائع ، والرباط ، وما قيل فى أوصاف السلاح .

الباب الحادى عشر : فى القضاء والحكام .

الباب الثانى عشر : فى ولاية المظالم ، وهى نيـابة دار العدل .

الباب الثالث عشر : فى نظر الحسبة ، وأحكامها ٠

الباب الرابع عشر : فى ذكر الكتاب والبلغاء ، والكتابة ، وما تفرع عنها من الوظائف والكتابات ،وهى : كتابة الانشاء ، وكتابة الحكم ، والشروط ، وكتابة النسخ ، وكتابة التعليم ٠

الفن الثالث

فى الحيوان الصامت

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول : فى السباع ، وما يتصل بها من جنسها ٠ وفيه ثلاثة أبواب ٠

الباب الأول : فى الأسد ، النمر ، والنمر ٠

الباب الثانى : فى الفهد ، والكلب ، والذئب ، والضبع ، والنمس ٠

الباب الثالث : فى السنجاب ، والثعلب ، والدب ، والهر ، والخنزير ٠

القسم الثانى : فى الوحوش ، والظباء ، وما يتصل بها من جنسها ٠

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فيما قيل فى الفيل ، والكركدين ، والزرافة ، والجاموس ، والابل .

الباب الثانى : فى الحمر الوحشية ، والوعل ، والنمط .

الباب الثالث : فيما قيل فى الظبى ، والأرنب ، والقرد ، والنعام .

القسم الثالث : وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى الخيل .

الباب الثانى : فى البغال ، والحمير .

الباب الثالث : فى الابل ، والبقر ، والغنم .

القسم الرابع : وفيه بابان :

الباب الأول : فى ذوات السموم القواتل .

الباب الثانى : فيما هو ليس بقاتل بفعله ، من ذوات السموم .

القسم الخامس : وفيه سبعة أبواب : ستة منها فى الطير وباب فى السمك .

وذيلت عليه بباب ثامن ، أوردت فيه ما قيل فى آلات صيد البر والبحر .

الباب الأول : فى سباع الطير ، وهى : العقبان ، والبوازى ، والصقور ، والشواهين .

الباب الثانى : فى كلاب الطير ، وهى : النسر ، والرخم ، والحدأة ، والغراب .

الباب الثالث : فى بهائم الطير ، وهى : الدراج والحبارى ، والطاوس ، والديك ، والدجاج ، والأوز ، والبط ، والنعام ، والأنيس ، والقاوند ، والخطاف ، والقيق ، والزرزور ، والسمانى ، والهدهد ، والعقعق ، والعصافير .

الباب الرابع : فى بغاث الطير ، وهو القمرى ، والدبسى ، والورشان ، والفواخت ، والشفنين ، والعبطبط ، والنواح ، والقطاة ، واليمام ، وأصنافه ، والببغاء .

الباب الخامس : فى الطير الليلى ، وهو : الخفاش ، والكروان ، والبوم ، والصدى .

الباب السادس : فى الهمج ، وهو : النمل ، والزنبور ، والعنكبوت ، والجراد ، ودود

القز ، والذباب ، والبعوض ، والبراغيث ، والحرقوص .

الباب السابع : فى أنواع الأسماك .

الباب الثامن : يشتمل على ذكر شىء مما وصفت به آلات الصيد فى البر والبحر ، ووصف رماة البندق ، وما يجرى هذا المجرى .

الفن الرابع

فى النبات

ويشتمل على خمسة أقسام :

وذيلت على هذا الفن ، فى القسم الخامس ، بشىء من أنواع الطيب ، والبخورات ، والغوالى ، والنـدود ، والمستقطرات ، وغير ذلك .

القسم الأول : فى أصل النبات ، وما تختص به أرض دون أرض .

ويتصل به ذكر الأقوات ، والخضروات ، والبقولات .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى أصل النبات وترتيبه .

الباب الثانى : فيما تختص به أرض دون أرض ، وما يستأصل شأفة النبات الشاغل للأرض عن الزراعة ٠

الباب الثالث : فى الأقوات ، والخضروات ، والبقولات ٠

القسم الثانى : فى الأشجار ٠

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فيما لثمره قشر لا يؤكل ٠

الباب الثانى : فيما لثمره نوى لا يؤكل ٠

الباب الثالث : فيما ليس لثمره قشر ولا نوى ٠

القسم الثالث : فى الفواكه المشمومة ٠

وفيه بابان :

الباب الأول : فيما يشم رطبا ، ويستقطر ٠

ويشتمل على أربعة أنواع : وهى : الورد ، والنسرين ، والخلاف ، والنيلوفر ٠

الباب الثانى : فيما يشم رطبا ، ولا يستقطر ٠

ويشتمل على ما قيل فى البنفسج ، والنرجس ، والياسمين ، والآس ، والزعفران ، والحبق ٠

القسم الرابع : فى الرياض ، والأزهار ،
وتتصل به الصموغ ، والأمنان ، والعصائر ،

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول : فى الرياض ، وما وصفت به نظما ونثرا ،

الباب الثانى : فى الأزهار ، وما وصفت به ،

الباب الثالث : فى الصموغ ،
وفيه ثمانية وعشرون صنفا ،

الباب الرابع : فى الأمنان ،

القسم الخامس : فى أصناف الطيب ، والبخورات ، والغوالى ، والنذور ، والمستقطرات ، والأدهان ، والنضوحات ، وأدوية الباه ، والخواص ،

وفيه أحد عشر بابا :

الباب الأول : فى المسك وأنواعه ،

الباب الثانى : فى العنبر ، وأنواعه ، ومعادنه ،
الباب الثالث : فى العود ، وأصنافه ، وأنواعه ، ومعادنه ،

الباب الرابع : فى الصندل ، وأصنافه ، ومعادنه .

الباب الخامس : فى السنبل الهندى ، وأصنافه ، والقرنفل ، وجوهره .

الباب السادس : فى القسط ، وأصنافه .

الباب السابع : فى عمل الغوالى ، والندود .

الباب الثامن : فى عمل الراهك ، والسك ، من الراهك والأدهان .

الباب التاسع : فى عمل النضـــوحات ، والميـــاه المستقطرة ، وغير المستقطرة .

الباب العاشر : فى الأدوية التى تزيد فى البـاه ، وتلذذ الجماع ، وما يتصل بذلك .

الباب الحادى عشر : فيما يفعل الخاصية .

الفن الخامس

فى التاريخ

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول : فى مبدأ خلق آدم عليه السلام ، وحواء ، وأخبارهما ، ومن كان بعد آدم الى نهاية خبر أصحاب الرس .

وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول : فى مبدأ خلق آدم عليه السلام ، وموسى عليه السلام ، وما كان من أخبارهما الى حين وفاتهما .

الباب الثانى : فى خبر شيث بن آدم (عليهما السلام) ، وأولاده .

الباب الثالث : فى أخبار ادريس النبى عليه السلام .

الباب الرابع : فى قصة نوح عليه السلام ، وخبر الطوفان .

الباب الخامس : فى قصة هود عليه السلام مع عاد ، وهلاكهم بالريح العقيم .

الباب السادس : فى قصة صالح عليه السلام مع ثمود ، وعقرهم الناقة ، وهلاكهم .

الباب السابع : فى أخبار أصحاب البئر المعطلة ، والقصر المشيد وهلاكهم .

الباب الثامن : فى أخبار أصحاب الرس ، وما كان من أمرهم .

القسم الثانى : فى قصة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وخبره مع نمرود ، وقصة لوط ، وخبر

اسحاق ، ويعقوب ، وقصة يوسف ، وأيوب ، وذى الكفل ، وشعيب عليهم السلام .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول : فى قصة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأخبار نمرود بن كنعان .

الباب الثانى : فى خبر لوط عليه السلام مع قومه ، وقلب المدائن .

الباب الثالث : فى خبر اسحاق ، ويعقوب عليه السلام .

الباب الرابع : فى قصة يوسف بن يعقوب عليه السلام .

الباب الخامس : فى قصة أيوب عليه السلام ، وابتلائه وعافيته .

الباب السادس : فى خبر ذى الكفل بن أيوب عليه السلام .

الباب السابع : فى خبر شعيب عليه السلام ، وقصته مع سدين .

القسم الثالث : يشتمل على قصة موسى بن عمران عليه السلام ، وخبره مع فرعون ، وخبر يوشع ، ومن

بعده ، وحزقيل ، والياس ، واليسع ، وعيلا ، وأشمويل ، وطالوت ، وجالوت ، وداود ، وسليمان بن داود ، وشعيا ، وأرميا ، وخبر بخت نصر ، وخراب بيت المقدس ، وعمارته ، وما يتصل بذلك من خبر عزيز ، وقصة يونس بن متى ، وخبر بلوقيا ، وزكريا ، ويحيى ، وعمران ، ومريم وعيسى عليهم السلام ، وقصص الحواريين ، وما كان من أمرهم فيمن أرسلوا اليه ، وخبر جرجيس .

وفيه ستة أبواب :

وذيلت على هذا القسم ذيلا يشتمل على أربعة أبواب ، ذكرت فيها ما قيل فى الحوادث التى تظهر قبل نزول عيسى عليه السلام الى الأرض ومدى اقامته بها ، ووفاته ، وما يكون بعده ، وشيئا من أخبار الحشر والمعاد .

الباب الأول : فى قصة موسى بن عمران ، وهارون وغرق فرعون ، وأخبار بنى قارون ، وخبر بلعم بن باعوراء ، والجبارين ، وغير ذلك .

الباب الثانى : فيما كان بعد موسى بن عمران ، عليه السلام من أخبار يوشع بن النون ، ومن بعده وخبر حزقيل ، والياس ، واليسع ، وعيلا ، وأشمويل ، وطالوت ، وجالوت ، وداود ، وسليمان .

الباب الثالث : فى أخبار شعيا ، وأرميا ، وخبر بخت نصر ، وخراب بيت المقدس ، وعمارته ، وما يتصل بذلك من خبر عزير .

الباب الرابع : فى قصة ذى النون ، ويونس بن متى عليه السلام ، وخبر بلوقيا .

الباب الخامس : فى خبر زكريا ، ويحيى ، وعمران ومريم ابنته وعيسى بن مريم عليهما السلام .

الباب السادس : فى أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام ، وما كان من أمرهم بعد رفعه ، وخبر جرجيس .

التذييل على هذا القسم ، ويشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول : فى ذكر الحوادث التى تظهر قبل نزول عيسى بن مريم .

الباب الثانى : فى خبر نزول عيسى الى الأرض ، وقتل الدجال ، وخروج يأجوج ، ومأجوج ، وهلاكهم ، ووفاة عيسى عليه السلام .

الباب الثالث : فى ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى ابن مريم الى النفخة الأولى .

الباب الرابع : فى أخبار يوم القيامة والحشر ، والمعاد ، والنفخة الثانية فى الصور .

القسم الرابع : فى أخبار ملوك الأصقاع ، وملوك الأمم ، والطوائف ، وخبر سيل العرم ، ووقائع العرب فى الجاهلية .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : فى أخبار ذى القرنين ، المذكور فى سورة الكهف .

الباب الثانى : فى أخبار ملوك الأصقاع ، وهم : ملوك مصر ، والهند ، والصين ، وجبل الفتح .

الباب الثالث : فى أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ، وهم : ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف منهم ، والملوك الساسانية ، وملوك اليونان والسريان ، والكلدانيين ، والصقالبة ، والبوكبرد ، والأفرنجة ، والجلالقة ، وطوائف السودان .

الباب الرابع : فى أخبار ملوك الغرب .

ويتصل به خبر سيل العرم .

الباب الخامس : فى أيام العرب ، ووقائعها فى الجاهلية .

القسم الخامس : فى أخبار الملة الاسلامية ، وذكر شىء من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخبار

الخلفاء من بعده رضى الله عنهم ، وأخبار الدولة الأموية ، والعباسية ، والعلوية ، ودول ملوك الاسلام ، وأخبارهم ، وما فتح الله سبحانه وتعالى عليهم ـ على ما سنبين ذلك ـ ان شاء الله (تعالى) .

وفيه اثنا عشر بابا :

الباب الأول : فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى أخبار الخلفاء من بعده : أبى بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وابنه الحسن رضى الله عنهم أجمعين .

الباب الثالث : فى أخبار الدولة الأموية بالشام وغيره .

الباب الرابع : فى أخبار الدولة العباسية بالعراق ، ومصر .

الباب الخامس : فى أخبار الدولة الأموية بالأندلس ، وأخبار الأندلس بعد انقراض الدولة الأموية .

الباب السادس : فى أخبار افريقية ، وبلاد المغرب ، ومن وليها من العمال ، ومن استقل منهم بالملك .

الباب السابع : فى أخبار من نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ، فى مدة الدولتين : الأموية والعباسية ، فقتل دونها ، بعد مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

الباب الثامن : فى أخبار صاحب الزنج ، والقرامطة والخوارج بالموصل .

الباب التاسع : فى أخبار من استقل بالملك ، والممالك ، بالبلاد الشرقية والشمالية ، فى خلال الدولة العباسية ، وهم : ملوك خراسان ، وما وراء النهر ، والجبال ، وطبرستان ، وغزنة ، والفور ، وبلاد السند ، والهند : كالدولة السامانية ، والصفارية ، والغزنوية ، والديلمية الختلية .

الباب العاشر : فى أخبار ملوك العراق ، وما والاه ، وملوك الموصل ، والديار الجزيرية ، والبكرية ، والبلاد الشامية ، والحلبية : كالدولة الحمدانية ، والديلمية والبويهية ، والسلجوقية ، والأتابكية .

الباب الحادى عشر : فى أخبار الدولة الخوارزمية ، والجنكزخانية ، وهى دولة التتار وما تفرع منها .

الباب الثانى عشر : فى أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا فى خلال الدولة العباسية ، نيابة عن خلفائهـــا وهم : الملوك العبيديون الذين انتسبوا الى على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، وما كان من أمرهم ، وما ملكوه من بلاد المغرب ، وكيف استولوا على الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والحلبية ، والثغور ، والسواحل ، وغير ذلك الى أن انقرضت دولتهم ، وقيـام الدولة الأيوبية، وأخبار ملوكها بمصر ، والشام الى حين انقراضها ، وقيام دولة الترك ، ومن ملك منهـــم من أبنائهـــم ، وما حازوه من الأقاليم ، وما فتحوه من الممالك ، وغير ذلك من أخبارهم ، وما استقر فى ملك ملوك هذه الدولة الى حين وضـــعنا لهذا التأليـف فى سنة ... وسبعمائة) فى أيام مولانا السلطان السيد الأجل المالك الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، أبى الفتح محمد ، ابن السلطان الشهير ، الملك المنصور ، سيف الدنيـا والدين ، أبى المظفر قلاون ، الصالحى ، خلد الله ملكه على ممر الزمـان ، وسقى عهد والده صوب الرحمة والرضوان ، ببركة سيد ولد عدنان .

هذا مجموع ما يشتمل عليه هذا الكتاب ، من فنون وأقسام ذيول وأبواب . ثم ما ينطوى فى كل باب منهـــا من فصول وأخبار ، ويحتوى على وقائع وآثار .

وما أملى النويرى هذا كله عن وعى وحفظ ، بل هو خلاصة كتب كثيرة ومراجع مختلفة تكاد تجد فى ثنـايا كتبا بجملتها بعد أن لخصت تلخيصا . منها : « احياء العلوم للغزالى » ، و « اللمعة النورانية فى الأوراد الربانية » للبونى ، و « الملل والنحل » للشهرستانى ، و « القصيدة العبدونية وشرحها » و « فقه اللغة » للثعالبى ، و « الأمثال » للميدانى ، و « الحماسة » لأبى تمام ، ودواوين كثيرة من الشعر مثل : « ديوان المتنبى » ، و « ديوان البحترى » ، و « ديوان البستى » ثم بعد هذا كله تجد فيه تلخيصـا وافيا لكتاب « مباهج الفكر ومناهج العبر » للوطواط ، وكذلك « نزهة المشتاق واختراق الآفاق » للادريسى .

وما يملك الرجل الموســـوعى غير ما ملكه النويرى لتستوى له مثل هذه الموسوعة الكبيرة ، وحسبه فيها أن يحسن الاختيار وأن يجيد الاختصار ، وأن يعرف من أين يستقى ، وأين مكان ما يريد ، وأى المراجع أو فى ، وأيها أغنى ، وأيها أصدق ، وأى هذا كله أحب للقارىء وأنفع للمفيد ، ثم كيف يبوب هذا كله ويسوق هذا كله وانك لتقرأ له اذ يقول فى منهجه : « وما أوردت الا ما غلب على ظنى أن النفوس تميل اليه ، أو أن الخواطر تشتمل

وقوله تعالى : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وقوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : « اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض » . يعنى أرض مصر .

وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » .

وقوله تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء » .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض » .

وقوله تعالى : « أو أن يظهر فى الأرض الفساد » . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » .

وقوله عز وجل : « ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا » .

وقوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب : « فلن أبرح الأرض » . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : « ان تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض » .

وذكر ابن عباس مصر ، فقال : سميت مصر بالأرض كلها فى عشر مواضع من القرآن . والله تعالى أعلم .

وأما ما ورد فيها من الحديث النبوى صلوات الله وسلامه على قائله :

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ولم يا رسول الله ؟ فقال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة » .

وعنه صلى الله عليه وسلم ، وذكر مصر : « ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤونته » .

وتكررت الأحاديث فى فضلها .

وقال عبد الله بن عمرو : وأهل مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عنصرا ، وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة .

ويقال أيضا : لما خلق الله عز وجل آدم ، مثل له الدنيا : شرقها ، وغربها ، وسهلها ، وجبلها ، وأنهارها ، وبحارها ، وبناءها ، وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك ، فلما رأى مصر ، رآها أرضا سهلة ذات نهر جار ، مادته من الجنة ، تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب عز وجل اليه بالرحمة ، في سفحه أشجار مثمرة ، فروعها في الجنة ، تسقى بماء الرحمة .

فدعا آدم في النيل بالبركة ، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات ، وقال : « يا أيها الجبل المرحوم ، سفحك جنة وتربتك مسكة تدفن فيها عرائس الجنة ، أرض حافظة مطبقة رحيمة . لاخلتك يا مصر بركة ، ولازال بك حفظ ولازال منك ملك وعز ، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلا . كثر الله زرعك ، ودر ضرعك ، وزكا نباتك ، وعظمت بركتك وخصبت ، ولازال فيك يا مصر خير ما لم تتجبرى وتتكبرى أو تخونى ، فاذا فعلت ذلك ، عراك شر ، ثم تغور خيرك » .

فكان آدم أول من دعا لها بالخصب والرحمة والرأفة والبركة .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح

عليه السلام لابن ابنه بيصر بن حام وهو أبو مصر ، فقال : اللهم انه قد أجاب دعوتى ، فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد .

قال عبد الله بن عمرو : لما قسم نوح عليه السلام الأرض بين ولده ، جعل لحام مصر وسواحلها والمغرب وشاطىء النيل ، فلما دخل بيصر بن حام وبلغ العريش ، قال : « اللهم ان كانت هذه هى الأرض التى وعدتنا على لسان نبيك نوح عليه السلام وجعلتها لنا منزلا فاصرف عنا وباءها ، وطيب لنا ثراها ، واجمع ماءها ، وأنبت كلأها ، وبارك لنا فيها ، وتمم لنا وعدك ، انك على كل شىء قدير ، وانك لا تخلف الميعاد » .

وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها به . والقبط ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح .

وسنذكر ان شاء الله تعالى أخبار مصر وبنيه عند ذكرنا لملوك مصر وهو فى الفن الخامس فى التاريخ .

وعن كعب الأخبـــار : لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت الا مصر ، فقيل له : ولم ؟ فقال : لأنها معافاة من الفتن ، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك لأهله فيه .

وقال أبو بصرة الغفارى : سلطان مصر سلطان الأرض كلها .

قال : وفى التوراة مكتوب : مصر خزائن الأرض كلها ، فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى .

وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر جامعة ، تعدل الخلافة .

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز ، قاضى العراق : سألت أحمد بن المدبر عن مصر فقال : كشفتها فوجدت غامرها أضعاف عامرها . ولو عمرها السلطان ، لوفت له بخراب الدنيا .

ذكر من ولد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من كان بها منهم

ولد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جماعة ، منهم : موسى ، وهارون ، ويوشع بن نون ، ودانيال ، أرميا ، ولقمان ، وعيسى بن مريم ، ولدته أمه بأهناس وبها النخلة التى ذكرها الله تعالى لمريم ، على أحد الأقوال .

ولما سار عيسى الى الشام أخذ على سفح المقطم ماشيا ، عليه جبة صوف ، مربوط الوسط بشريط ، وأمه تمشى

خلفه ، فالتفت اليها وقال : يا أماه ، هذه مقرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما من كان بها منهم ، فكان : ابراهيم الخليل ، واسماعيل ، ويعقوب ، ويوسف عليهم السلام ، واثنا عشر سبطا .

ذكر من كان بهـــا من الصديقين والصديقـــات ، رضى الله عنهـــم

كان بها من الصديقين : مؤمن آل فرعون الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن ، وقيل : انه ابن لفرعون لصلبه ، آمن بموسى ولحق به وجعله الله نبيا وآية . وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله تعالى وفضلهم على قوم نمرود حين قالوا : « أرجئه وأخاه » وقالت وزراء النمرود : « اقتلوه أو احرقوه » . وأخرجت مصر الســـحرة الذين أحضرهم فرعون لموسى . وكانت عدتهم مائتى ألف واثنين وثلاثين ألفا ، وقيل أكثر من ذلك ، آمنوا كلهم فى ساعة واحدة . ولم نعلم ممن آمن فى ساعة واحدة مثل هذا العدد .

ومن فضائل مصر ونبل أهلها أنهم لم يفتنوا بعبادة العجـــل .

وكان بها من الصديقات : آسية بنت مزاحم امرأة

فرعون ، وأم اسحاق ، ومريم بنت عمران ، وماشطة بنت فرعون ، التى مشطها فرعون بأمشاط الكتان لما آمنت بموسى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شممت ليلة أسرى بى فى الجنة رائحة ما شممت أطيب منها ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ فقال : هذه رائحة ماشـــطة بنت فرعـون .

ذكر من صاهر أهل مصر من الأنبياء

عليهم الصـــلاة والسـلام

منهـــم :

ابراهيم الخليـــل عليه الســـلام ، تزوج بهاجر أم اسماعيل .

ويوسف الصديق ، تزوج بنت صاحب عين شمس ، وتزوج زليخا بعد أن عجزت وعميت . دعا الله لها فردها الى حالتها الأولى ، ورزق منها الولد .

وتسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التى أهداها له المقوقس ، على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى السيرة النبوية .

ذكـــر من أظهرته مصر من الحكماء الذين عمروا الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم ، وأظهروا ما خفى من العلوم

قال الحسن بن ابراهيم ، صاحب تاريخ مصر :

منهم : ذو القرنين وهو الاسكندر ، من قرية يقال لها لوبية • وهو الذى قتل دارا بن دارا • وســـيأتى خبره ان شاء الله تعالى فى التاريخ عند ذكر ملوك اليونان •

ومنهم : هرمس وهو المثلث بالنعمة : نبى ، وحكيم وملك : وهو الذى صير الرصاص ذهبا ، وبنى الهرمين الكبيرين على أحد الأقوال • وقيل : هو ادريس عليه الســـلام •

ومنهم تلميذاه : أغاثا ذيمون وفيثاغورس ، ولهما من العلوم الموروثة : صناعة الكيمياء ، والنجوم ، والسحر ، وعلم النارنجيات ، والطلســـمات ، والبرابى ، وأسرار الطبيعة •

ومنهم : أوسلا ، وسيزاروس ، وبندقليس ، أصحاب الكهانة والزجر •

ومنهم : سقراط ، صاحب الحكمة ، والكلام على البارىء جل ذكره ، وهو صاحب البلاغة •

ومنهم : أفلاطون ، صاحب السياسة ، والنواميس ، والكلام على المدن والملوك .

ومنهم : بطليموس ، صاحب الرصد ، والمساحة ، والحساب ، وهو صاحب كتاب المجسطى من كتب الأفلاك وحركة الشمس ، والقمر ، والكواكب المتحيرة والثابتة ، وصورة فلك البروج . وله صفة الأمم الذين يعمرون الأرض، وكتاب الثمرة فى علم النجوم وتسطيح الكرة .

ومنهم : أرسطاطاليس ، صاحب المنطق ، والآثار العلوية ، والحس والمحسوس ، والكون والفساد ، والسماء والعالم ، وسمع الكيان والسمع الطبيعى ، ورسالة نبت الذهب ، قال : وليعقوب بن اسحاق الكندى نحو ألف كتاب مستخرجة من كتب أرسطاطاليس .

ومنهم : أراطس ، صاحب البيضة ذات الثمان والأربعين صورة فى تشكيل صورة الفلك والألف كوكب ، واثنان وعشرون كوكبا من الكواكب الثابتة ، والزيج .

ومنهم : أنطوليوس ، صاحب الفلاحة .

ومنهم : ابرخس ، صاحب الرصد والآلة المعروفة بذات الحلق .

ومنهم : ثاون ، صاحب الزيج المنسوب اليه .

ومنهم : أسطتس ، ودروثيوس ، ووالنس ، أصحاب كتب أحكام النجوم ، وعنهم انتشر ذلك .

ومنهم : ايرن ، صاحب الهندسة والمقادير ، وكتاب جر الأثقال ، والحيل الروحانية ، وعمل البناكيم والآلات لقياس الساعات .

ومنهم : فيلون البيزنطى ، وله عمل الدواليب والأرحية والحركات بالحيل اللطيفة .

ومنهم : أرشميدس ، صاحب الحيل والهندسة والمرايا المحرقة وعمل المجانيق ورمى الحصـــون ، والحيل على الجيوش والعساكر برا وبحرا .

ومنهم : مارية ، وقلبطرة ، أصحاب الطلسـمات ، والخواص للطبائع .

ومنهم : أبلوتيوس ، وله كتاب المخروطات وقطع الخطـــوط .

ومنهم : ثيودوثيس ، وهو صاحب كتاب الأكر .

ومنهم : ذيوفنطس ، وله كتاب الحساب .

ومنهم : أوطوقيس ، وله كتاب الكرة والأسطوانة .

ومنهم : المشاءون ، أصحاب الرواق .

وبمصر من العلوم التى عمرت بها الدنيا علم الطب اليونانى ، وعلم النجوم ، وعلم المساحة ، وعلم الهندسة ، وعلم الكيمياء ، وغير ذلك ، وبها الطلسمات العشرة .

وبادى الاسكندرانى صاحب الزيج .

والذين نشروا الطب وشرحوه جالينوس ، صاحب الطب تعلمه بمصر ، ومن كتبها أخذ .

ومنهم : ديسقريد : صاحب الحشائش ، وديوجانس، وأركاغانس ، وأرباسيوس ، وفريقونوس ، وروفس ، هؤلاء أصحاب الطب اليونانى .

فهؤلاء حكماء الأرض وعلماؤهم الذين ورثوا الحكمة ، من مصر خرجوا ، وبها ولدوا ، ومنها انتشرت علومهم فى الأرض .

قال الحسن بن ابراهيم : وكانت مصر يسير اليها فى الزمن الأول طلبة العلم ، وأصحاب العلم الدقيق لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء ودقة الفطنة .

والله أعلم .

ومن فضائل مصر :

أنها تمير الحرمين الشريفين ، ولولاها لما أمكن أهل

الحرمين وأعمالهما المقام بهما ، ولما توصل اليهما من يرد من أقطار الأرض .

ومنها أنها فرضـــة الدنيا ، يحمـل من خيرها الى سواحلها ، وذلك أن من ساحلها بالقلزم ينقل الى الحرمين ، والى جدة ، والى عمان ، والى الهند ، والى الصين ، وصنعاء ، وعدن ، والشحر ، والسند ، وجزائر البحر .

ومن جهة تنيس ، ودمياط ، والفرما فرضة بلد الروم ، وأقصى الافرنجة ، وقبرس ، وسائر سواحل الشام ، والثغور الى حدود العراق .

ومن جهة الاسكندرية فرضة أقريطش ، وصقلية ، وبلد الروم ، والمغرب كله الى طنجة ، ومغرب الشمس .

ومن جهة الصعيد فرضـة بلد النوبة ، والبجه ، والحبشة ، والحجاز ، واليمن .

وفيها من ثغـــور الرباط : البرلس ، ورشـــيد ، والاسكندرية ، ورباط ذات الحمام ، ورباط البحيرة ، ورباط اخنا ، ورباط دمياط ، وشطا ، وتنيس ، والآشتوم ، والفرما ، والورادة ، والعريش ، والشجرتين ، ورباط الخرس ، وجهة الحبشة ، والبجة ، ورباط أسوان على النوبة ، ورباط الواحات على البربر والسودان ، ورباط قـوص .

وبها من المساجد والمشاهد والآثار الصالحة ، ما لم يكن فى غيرها . ولو استقصينا ذلك ، لطال بنا الشرح وانبسط القول .

وقال سعيد بن عقبة : كنت بحضرة المأمون حتى قال ، وهو فى قبة الهواء :

لعن الله فرعون حين يقول : « أليس لى ملك مصر » فلو رأى العراق ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فان الله عز وجل قال : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » ، فما ظنك يا أمير المؤمنين بشىء دمره الله ، هذا بقيته ؟

قال : ثم قلت : لقد بلغنى أن أرضا لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون اليها . وكانت الأنهار بقناطر وجسور وتقدير حتى أن الماء يجرى تحت منازلهم وأفنيتهم : يحبسونه متى شاءوا ، ويرسلونه متى شاءوا ، وكانت البساتين بما فى النيل من أوله الى آخره ، ما بين أسوان الى رشيد الى الشام متصلة لا تنقطع .

ولقد كانت الأمة تضع المكتل على رأسها فيمتلىء بما يسقط من الشجر . وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر .

ومن فضائلها النيل ، وقد تقـــدم ذكره فى باب الأنهـــار .

ومن عجائبها الهرمان ، وسيأتى ذكرهما فى باب المبانى القديمة ان شاء الله تعالى . ومن عجائبها أن أهلها مستغنون عن كل بلد ، وحتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ، استغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا .

وفيها ما ليس فى غيرها ، وهو حيوان السقنقور ، والنمس . ولولاه لأكلت الثعابين أهلها ، وهو لها كقنافذ سجستان لأهلها .

وفيها سمك يسمى الرعاد . وهو سمك اذا أمسكه انسان أو أمسك ما يتصل به من خيط الصنارة أو الشبكة التى يقع فيها ، ارتعدت يده .

والحطب السنط الذى لو أوقد منه يوما وجمع ما وجد من رماه كان ملء كف . وهو صلب العود سريع الوقود ، بطىء الخمود ، ويقال : انه الآبنوس ، وانما البقعة قصرت عن الكيان فجاء أحمر شديد الحمرة .

ودهن البلسان ، والأفيون ، وهو عصارة الخشخاش . وكان بها اللبخ ، وهو ثمر فى قدر اللوز الأخضر الا أن المأكول منه الظاهر . ورأيته أنا بها وأكلت منه سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

وبها الأترج الأبلق .

وبها من المعادن : معدن الزمرد ، ومعدن النفط ، والشب ، والبرام ، والرخام .

وقيل : ان بها سائر المعادن كلها .

وأهلها يأكلون صيد بحر الروم وبحر فارس طريا .

وفى كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشروب والمشموم ، يوجد فيه دون غيره ، فيقال : رطب توت ، ورمان بابه ، وموز هاتور ، وسمك كيهك ، وماء طوبه ، وخروب أمشير ، ولبن برمهات ، وورد برمودة ، ونبق بشنس ، وتين بشنونه ، وعسل أبيب ، وعنب مسرى .

ومنها أن صيفها خريف ، وشتاءها ربيع ، وما يقطعه الحر والبرد فى سائر البلاد من الفواكه يوجد فيها فى الحر والبرد ، لأنها فى الاقليم الثالث والرابع ، فسلمت من حر الأول والثانى ، وبرد السادس والسابع .

ويقال : لو لم يكن من فضل مصر الا أنها تغنى فى الصيف عن الخيش والثلج وبطون الأرض ، وفى الشتاء عن الوقود والفراء لكفى .

ومما وصفت به :

ان صعيدها حجازى : حجره كحجر الحجاز ينبت النخل والدوم • وهو شجر المقل ، والعشر ، والقرظ ، والاهليلج ، والفلفل ، والخيار شنبر • وأسفل أرضها شامى : يمطر كمطر الشام ، وتقع فيه الثلوج ، وينبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز والفستق وسائر الفواكه ، والبقول والرياحين •

وهى ما بين أربع صفات : فضة بيضاء أو مسكة سوداء ، أو زبرجدة خضراء ، أو ذهبة صفراء •

وحكى ابن زولاق فى « فضائل مصر » أن أميرها موسى بن عيسى الهاشمى وقف بالميدان عند بركة الحبش ، فالتفت يمينا وشمالا ، وقال لمن كان معه : أترون ما أرى ؟ قالوا : وما يرى الأمير ؟ قال : أرى عجبا ما فى الدنيا مثله ؟ فقالوا : يقول الأمير ؟ فقال : أرى ميدان رهان ، وحيطان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل وجبانة أموات ، ونهر عجاجا ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومراتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقانص وحش ، وصائد سمك ، وملاح سفينة ، وحادى ابل ، ومفازة رمل ، وسهلا ، وجبلا ! فهذه ثمانية عشر متنزها فى أقل من ميل فى ميل •

وأين هذه الأوصاف من وصف الواصف لقصر أنس بالبصرة حيث يقول :

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لابد من زورة من غـــير ميعـــاد

زره فليس لـــه شيء يشـــاكله
من منزل حاضر ان شئت أو بادى

ترى به السـفن والظلمان حاضرة
والضب والنـون والملاح والحادى

وقال أبو الصـــلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، يصف جبل الرصد مثل ما وصف به قصر أنس :

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت
من كل شيء حلا فى جانب الوادى

فذا غدير ، وذا روض ، وذا جبل
فالضب والنون والملاح والحادى

فهذه نبذة من فضـــائل مصر ، ولـولا الرغبة فى الاختصار ، لكانت فضائلها تكون كتبا مفردا .

★★★

وهذه الموسوعة الكبيرة أخذ مؤلفها فى كتابتها فى أوائل العقد الثالث من القرن السابع الهجرى ، اذ تراه يكتب بخطه فى نهاية السفر الأول أو نهاية الفن الأول : نجز السفر الأول من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » على يد مؤلفه بعد النص · ووافق الفراغ من كتابته فى يوم السبت المبارك لعشر بقين من ذى القعدة عام احدى وعشرين وسبعمائة ، أحسن الله تقضيه · وذلك بالقاهرة المصرية عمرها الله تعالى ، يتلوه ان شاء الله تعالى أول السفر الثانى « الفن الثانى فى الانسان وما يتعلق به » ·

ونرى فى آخر السفر الخامس : « كمل السفر الخامس من كتاب نهاية الأرب فى الفنون والأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه ··· ووافق الفراغ من كتابته فى يوم الأحد المبارك لثمان بقيت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بالقاهرة المصرية ·

وقد أخذت دار الكتب المصرية فى طبع تلك الموسوعة الكبيرة منذ سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) ، وفى تلك السنة ظهر السفر الأول منها باشراف القسم الأدبى ، وقد انتهت منها الى الجزء الثامن عشر ثم تولت الدار المصرية للتأليف والترجمة عن دار الكتب اخراج سائر أجزائه الباقية ، وأسندتها الى جملة من المحققين ، وهى الآن آخذة فى طبعها ، على أن تتوجها آخر الأمر بفهرس جامع ·

وقبل أن نودع النويري وكتابه « نهاية الأرب » نحب أن نشير الى أنه لم يكن له ثمة كتاب له عرف غير هذا الكتاب ، والذين ترجموا له كلهم لم يشيروا الى كتاب آخر ، غير أن عبارة على مبارك التي اوردها عن النويري وانى نقول : « وقد ذكر النويري في بعض كتبه ترجمة والده » ، تثير شكا بان ثمة كتبا أخرى له .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٨/٥٠٧٩ ١٩٩٤/م

I.S.B.N — 977 — 01 — 3891 — 6